امبراطورة ارلندا وارزاء البحر

لا تمضي سنة الا وتسمع بما تدوي به الآذان من الارزاء التي تصيب راكبي البحر . ولقد بذل الناس جهد ما وصل اليهِ علمهم واختبارهم لمنع هذه الارزاء تقللوها كثيراً ولكنهم لم يتموها وحسبنا ما اصاب الباخرة تيتانك منذ عهد غير بعيد وما اصاب الباخرة امبراطورة ارلندا بالامس دليلاً على ان الآفات كثيرة متنوعة لم يتمكن صانعو السفن ومسيروها من تلافيها كلها حتى الآن . لكنَّ ما حدث للباخرة تيتانك وللباخرة امبراطورة ارلندا كانت الامةُ على الذين اصيبوا بهِ مباشرة فصيرة دامت دقائق او ساعات وانقضت فنجوا او ماتوا اما السفن التي كانت تصاب بمصيبة في عرض البحر قبل التلغراف اللاسلكي فكان ركابها يعانون العذاب زماناً طويلاً الى ان يقضى عليهم او يتفق لهم من ينجيهم والذين نجوا من مثل هذه الارزاء رووا عنها روايات تقشعر لها الابدان

من اقرب الامثلة على ذلك ما اصاب ركاب الباخرة المسماة كرنارفون كسل التي احترقت سنة ١٩٠٧ وهي على ٨٥٠ ميلاً من استراليا غرباً فنزل ركابها في قاربين وساروا وهم يحسبون انهم يصيبون براً بعد سبعة ايام فلم يصلوا الى البر الاَّ بعد اربع وعشرين يوماً . وفي اليوم التاسع افترق القاربان واختفى كل منهما عن الآخر ثم وصلا معاً في اليوم الرابع والعشرين الى جزيرة وهي الجزيرة الوحيدة التي كان في الامكان الوصول اليها فكان التقادير قادتهما اليها . ولم يمت من ركابهما في هذه المدة سوى ثلاثة ولكن الباقين وصلوا في حالة يرثى لها تمزق الثياب نحاف الابدان خائري القوى من قلة الطعام والنوم ولو بقوا في البحر يومين آخرين لقضي عليهم كلهم ولولا ما ابداهُ الربان من المهارة وحسن الادارة لما استطاعوا ان يبقوا اربعاً وعشرين يوماً ولم يهلك منهم سوى ثلاثة

واشد من ذلك هولاً ما اصاب بحارة المنيونت وهي سفينة صغيرة محمولها ١٦٠٠ طن كانت ذاهبة الى استراليا فغرقت ونجا ربانها وثانيهِ وبحار وولد وركبوا قارباً وساروا في عرض البحر . ولما اعياهم الجوع ارتأى بعضهم ان يُقتل واحد منهم بالقرعة فيتقوَّت الباقون بلحمهِ ولكن الباقين رفضوا هذا الرأي ولما صار لهم عشرون يوماً ولما يصيبوا ارضاً ذبحوا الولد واكلوهُ وبعد اربعة ايام وجدتهم سفينة فانقذتهم وحوكم الربان وثانيهِ لقتلهما الولد وحُكم عليهما بالاعدام ثم خفف الحكم الى حبس ستة اشهر

واتبع من ذلك ما اصاب رجال الرفاطة الفرنسوية مصورز سنة مئة سنة فانها صدمت صخراً وهي ماخرة بسرعة شديدة فارتت وخاً بحرتها والجنود الذين فيها اذ قربوا حتى اذا استلأت بهم صنع الباقون رمثاً كبيراً وجعلوا عليه وربطوه بالقوارب لكي تجره وكانوا مئة وخمسين نفساً من الجنود والبحرة . لكن الحبال التي تربطه بالقوارب قطعت وكان عن الرمث براميل خمر وشيئاً من البقسماط فجعل البحارة يأكلون البقسماط ويشربون الخمر فلم يضع الصباح الثاني الا وقد جرفت امواج البحر كثيرين منهم واجتمع الباقون بعضهم فوق بعض في وسط الرمث فقطس بعضهم . وعاد الجنود الى شرب الخمر فسكروا وحاولوا قص الحبال التي تربط الواح الرمث بعضها ببعض فمنعهم الباقون من ذلك فنشبت بينهم حرب قتل فيها ٦٥ نفساً . ثم مات بعض الباقين في الليلة الثالثة فجعل رفاقهم يأكلون لحمهم وكان عدد الباقين في قيد الحياة حينئذٍ ثلاثين ثم مات منهم واحد ورمي اثنان في البحر وعقد خمسة عشر منهم مجلساً حربياً حكموا فيه بان لا يترك منهم احداً من يحتمل بقاؤه في قيد الحياة . وبعد ثلاثة ايام وجدتهم سفينة كانت قد ارسلت لتفتيش عنهم فانقذت الاحياء منهم

اما الباخرة امبراطورة ارلندا فكانت آتية من مدينة كوبك بكندا قاصدة لفربول فصدمتها سفينة نروجية من سفن الفحم في التاسعة والعشرين من شهر مايو الماضي وهي لا تزال في فم نهر سنت لورانس قريبة من البر فخرقت جانبها الايسر واغرقتها

رأى ربان امبراطورة ارلندا السفينة النروجية ماخرة متجهة اليه والضباب يفصل بينه وبينها فلا يرى منها الا انوارها فاطلق البخار لسفينته حتى تسير على اشد سرعتها وجعل يصفر للسفينة النروجية لكي تتنبه له وتنحرف عنه لكن الوقت كان اقصر من ان يأذن بذلك فادركته وصدمت باخرته بمقدمها في جانبها الايمن كما ترى في الشكل الاول فخلفت فيه ثغرة كبيرة طويلة كما ترى في الشكل الثاني . وتحال جعل الماء يتدفق الى امبراطورة ارلندا فاثقل ذلك الجانب وامالهُ فغاص في الماء والتحمت الباخرة حتى صار جانبها الآخر سطحاً مائلاً يسهل المشي عليه . وكان الربان قد ادرك الخطر الذي وقعت فيه سفينته وادرت السفينة النروجية بما فعلت فجعل بحارة السفينتين يهتمون بانزال القوارب وتخليص الركاب وبعد قليل غرقت امبراطورة ارلندا بمن بقي فيها وكان عدد ركابها وبحارتها ٦٧٦ نفساً فغرق منهم ٥٢٣ نفساً وبقي ١٥٣ نفساً كما ترى في هذا الجدول

عدد البحارة	٤١٣	نجا منهم	٢٠٧	وغرق	٢٠٦
ركاب الدرجة الاولى	٨٧	»	٣٥	»	٥٢
ركاب الدرجة الثانية	٢٥٣	»	٣٨	»	٢١٥
ركاب الدرجة الثالثة	٧١٤	»	١٦٤	»	٥٥٠
والجملة	١٤٦٧	»	٤٤٤	»	١٠٢٣

ومما يدعو الى الاسف الشديد ان اكثر الغرقى وجدوا مشوهين كأنهم اختصموا بعضهم مع بعض قبل غرقوا او وقعت عليهم اشياء من السفينة فشوهتهم . ويقال ان بعض الاشرار اسرعوا الى الغرق لا لينشلوهم احياء بل ليجردوا عليهم وينهبوا ما معهم . والظاهر ان الباخرة لم تبق فوق الماء بعد ما صُدمت الا ١٢ دقيقة وكان الضباب كثيفاً في اول الامر لكنهُ انقشع حالاً وهذا مما سهل نجاة الذين نجوا

وقد كانت هذه الباخرة من اجمل البواخر واسرعها طولها ٥٧٠ قدماً وعرضها ٦٥ قدماً ونصف قدم وفيها اماكن لثلاثمائة وخمسين من ركاب الدرجة الاولى و ٣٥٠ من ركاب الدرجة الثانية و ١٠٠٠ من ركاب الدرجة الثالثة وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وكان فيها جهاز للتلغراف اللاسلكي واجراس تقرع تحت الماء للتنبيه وقت اشتداد الضباب وغير ذلك من وسائل الوقاية الحديثة وقد قسم جوفها الى عشرة اقسام بفواصل محكمة حتى اذا دخل الماء قسماً منها لا يتطرق الى غيره ولم يخطر على بال صانعيها انهُ يحتمل ان تصدمها سفينة صدمة جانبية مائلة فتشقها شقاً طويلاً يتناول بضعة اقسام من اقسامها فتمتلئ كلها ماء في وقت واحد . وكانت حاوية ايضاً لكل وسائل الراحة والرفاهة كأنها من قصور الملوك . وعليها سافر دوق كنوت وزوجتهُ لما ذهب الى كندا والياً سنة ١٩١١ . وغرفة المائدة التي فيها من اكبر الغرف تتسع لكل ركاب الدرجة الاولى

وكانت مسوكرة على ٢٨٠ الف جنيه فاذا ارادت شركات التأمين انتشالها من الماء واصلاحها فلترجع ان نفقات ذلك تزيد على ٢٨٠ الف جنيه فلا تربح شيئاً بانتشالها فلا بدَّ من تكسيرها واخراجها من مقرها لئلا تبقى عائقاً في سبيل الملاحة لان قاع البحر هناك قريب لا يزيد عمقهُ على ١٢ قامة . ومن المشاهير الذين غرقوا بغرقها المستر لورنس سدني ارفنج ابن السر هنري ارفنج الممثل المشهور وكان قد اقتنى خطوات والده وغرقت معهُ زوجتهُ وهي ممثلة مشهورة ايضاً وقد اقترن بها منذ عشر سنوات ومنهم السر هنري سنن كار الصياد المشهور ومن اعضاء مجلس النواب الانكليزي